

# الفصل الأول

## عصر الولاة

### أبرهة بن الصبّاح الأصبّحيّ (١)

أربعة ذكرهم ابن حجر العسقلاني في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» ، في القسم الأول الذي أفرده لمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره ، سواء كانت الطريقة صحيحة أو حسنة أو ضعيفة، أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأي طريق كان، وكلّ منهم يدعى أبرهة. ولكن اثنين منهم لا يتصلان بما نعتمز من دراسة ، ولم يزد ابن حجر شيئا على ذكر اسمهم الأول .

وأول الرجلين اللذين ذكرهما يسمى «أبرهة بن الصباح» ووصفه «بالحبشي أو الحميري» . ولم ينفرد ابن حجر بهذه التسمية ، بل أورد لها نصر بن مزاحم في وقعة صفين والطبرى في تاريخه وابن الأثير في الكامل وابن عساكر في تاريخ دمشق وابن حزم في جمهرة أنساب العرب .

والثاني «أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح» . وتردد ابن حجر في الصلة بين الرجلين، فقال عن الأول : "وما أدري أهو جد الذي قبله [ أى أبرهة بن شرحبيل ] أو غيره. ثم ظهر لي أنه غيره، فقد ذكره ابن الكلبي فقال : إنه كان ملك قمامة" . وكنا نستطيع أن نطمئن إلى ما اهتدى ابن حجر أخيرا إليه، ونفرك بين الرجلين لولا أمران. فاستدلّاه بما قال ابن الكلبي غير

(١) نشر في منبر الإسلام - العدد ١١ - أبريل ١٩٦٣ م



صحيح ، لأن أبرهة بن الصباح الذى ملك قمامة، بعيد العهد عن الإسلام، ولا يعقل أن الزمن قد تأخر به إلى أن أسلم وأتى بما ينسب إلى سَمِيَّة. وليس بعيدا أن هذا الملك جدّ الرجل الذى نتحدث عنه . كذلك يذكر المؤرخون أعمالا واحدة يعزونها تارة إلى هذا الرجل، وتارة إلى ذلك.

كل ذلك رجّح لدى أن الاسمين — فى الحقيقة — لمسمى واحد، وأن الأقدمين ذكروا الاسم مفصلا مرة فقالوا: «أبرهة بن شَرَحْبِيل بن أبرهة بن الصباح»، وذكروه مجملا أخرى فقالوا: «أبرهة بن الصباح»، وليس ذلك بالأمر الغريب فما أكثر ما فعلوه.

### فإن ارتضينا ذلك اتسقت لنا الترجمة الآتية للرجل :

كان من بطون حمير من قبائل اليمن بطن صاهر أبرهة الأشرم الحبشى ملك اليمن، وخرج من رجاله رجال بسطوا نفوذهم على مناطق من اليمن ، فنال من الشهرة ما اعترفت به قبائل العرب فى اليمن وغيره، وحاز من الشرف ما لم ينازعهم فيه أحد، ذلك البطن هو ذو أصبح. وبين ظهرانهم نشأ أبرهة، فكان من زعمائهم وأشرفهم بل عدّه بعضهم أشرفهم. فقد ذكر نصر بن مزاحم وابن الأثير أن أبا موسى الأشعرى، وهو يعنى، لما تلاحى هو وعمرو بن العاص فى أثناء التحكيم بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قال عمرو لأبى موسى الأشعرى: " يا أبا موسى، أأنت تعلم أن عثمان قُتل مظلوما؟ " قال " أشهد " . قال عمرو: " أأنت تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ " قال : " بلى " . قال عمرو : " فما يمنعك منه وبيته فى قريش كما قد علمت. فإن خفت أن يقول الناس : ليست له سابقة، فقل : وجدته ولى عثمان الخليفة المظلوم، والمطالب بدمه، الحسن السياسة والتدبير، وهو أخو أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه



وسلم، وكاتبه، وقد صحبه". وعرض له بسلطان. فقال أبو موسى: "يا عمرو، اتق الله، أما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا [أى الخلافة] ليس على الشرف تولاه أهله، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة بن الصباح، إنما هو لأهل الدين والفضل...". وإذن فقد بلغ أبرهة في نظر أبي موسى — من الشرف ما استحق به أن تكون الخلافة فيه وفي أهله دون غيرهم من العرب المسلمين.

وأسلم أبرهة فعرف له الرسول صلى الله عليه وسلم مكانته. فقد ذكر الرُّشاطي في الأنساب أنه وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ففرش له رداءه، تكرمة وتجلة له.

ولست أدري — على وجه اليقين — تاريخ إسلام أبرهة، ولكن يغلب على ظني أنه أسلم في عام الوفود، في سنة ٩ هـ، وأنه عاد مع وفد قومه إلى موطنه اليمن بعد إسلامه.

ولما خرجت الجيوش العربية من الجزيرة إلى الفتوح كان في الجند المتجه إلى الشام، وإن كنا لا نعرف المعارك التي اشترك فيها في هذه البلاد.

وعباً عمرو بن العاص جيشاً أغلبه من عرب اليمن، اتجه نحو مصر. فكان أبرهة أحد قواد هذا الجيش. فبعثه عمرو على رأس الفرقة التي حاصرت مدينة القَرمَ نحو شهر ثم فتحها. وكانت الفرما مدينة حصينة، ولكنها أخذت في التدهور حتى زالت ولم يبق منها اليوم غير آثار تعرف بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلومترات من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعلى بعد ٢٣ كيلو متراً شرقي محطة الطينة الواقعة على السكة الحديدية بين بورسعيد والإسماعيلية.

وتدخلت القصص الشعبية فأرادت أن تعلل تدهور الفرما، بينما تزدهر مدن أخرى مماثلة لها ولكنها على الجانب الغربي من الساحل المصري. فقليل إن



عمرو بن العاص أرسل عوف بن مالك إلى الإسكندرية كما أرسل أبرهة إلى الفرما. فقال أبرهة لأهل الفرما بعد الفتح : "ما أخلق مدينتكم ، يا أهل الفرما!" فقالوا: إن الفرما قال : إني أبنى مدينة، عن الله غنية، وإلى الناس فقيرة. فذهبت بهجتها". وقال عوف بن مالك لأهل الإسكندرية: "ما أحسن مدينتكم ، يا أهل الإسكندرية!" فقالوا: "إن الإسكندر قال: إني أبنى مدينة، إلى الله فقيرة، وعن الناس غنية. فبقيت هجتها". وقالت القصص الشعبية إن الإسكندر والفرما أخوان بنى كل منهما المدينة التي سميت باسمه. ومن الطبيعي أن أصحاب القصص الشعبي كانوا يعللون بخيالهم تلك الظاهرة التي يسببها طمى النيل، فإن تراكمه أمام الفرما جعل البحر يتباعد عنها شيئا فشيئا حتى خلفها وراءه في البر إلى جانب إهمالها لما صارت مصر والشام خاضعتين لدولة واحدة.

ولا ندرى — على وجه اليقين — المدة التي قضاها أبرهة في مصر، بل تأخذ أخباره في القلة ، ويبدأ شخصه في الاختفاء حتى يختلط بشخص ابنه المسمى أباشمير. فقد مضى عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وقامت الفتنة واتسع نطاقها فشمم العالم الإسلامي كله. وكان من رءوسها محمد بن أبي حذيفة الذي أشعل مصر نارا لم تخمد، واستطاع أن يستخلصها من يد وألها عبد الله بن سعد ابن أبي سرح.

وفي شوال سنة ٣٦ هـ ، سار معاوية بن أبي سفيان على رأس جيش إلى مصر . فخرج إليه محمد بن أبي حذيفة وأهل مصر ليمنعوه. ثم تختلف أقاويل المؤرخين فمنهم من يذكر أن الجيشين التقيا في عدة معارك انهزم فيها محمد هزيمة غير فاصلة — فيما يبدو — ومنهم من يذكر أن معاوية بعث إلى محمد يقول : "إننا لانريد قتال أحد، إنما جئنا نسأل القود بدم عثمان، ادفعوا إلينا قاتليه: عبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر ". فامتنع محمد وقال : "لو طلبت منا

جديا رطب السرة بعثمان ما دفعناه إليك" . فقال معاوية : "اجعل بيننا وبينكم رهنا، فلا يكون بيننا وبينكم حرب" . فقال محمد : "فإني أرضى بذلك".

واستطاع معاوية بالحيلة أو الحرب أن يأخذ من أهل مصر رهنا كان فيهم محمد بن أبي حذيفة، وعبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، وأبرهة بن الصباح أو ابنه على اختلاف من المؤرخين وغيرهم. وحبس معاوية هؤلاء الرهن في مدينة اللد من فلسطين، وسار هو إلى دمشق. فلبثوا فيه قليلا ثم هربوا جميعا ماعدا أبرهة وقال : "لا أدخله أسيرا وأخرج منه آبقا" . وقد اتبع جند معاوية الفارين فلحقوا بهم وقتلوهم جميعا، حتى محمد بن أبي حذيفة الذي لم يكن معاوية راغبا في قتله لما بينهما من قرابة. وقيل: إن معاوية سأل أبرهة بن الصباح : "مامنعك أن تخرج مع أصحابك؟" فقال: "مامنعني منه بغض لعليّ ولا حب لك، ولكني لم أقدر عليه" . فخلّى سبيله.

والستقى معاوية وأبرهة لقاء آخر، اختلف فيه المؤرخون أيضا. فقد اتفقوا على أن أبرهة كان له نصيبه في وقائع صفين. ثم ذهب الذهبي إلى أنه كان من أنصار علي بن أبي طالب، وأنه ختم حياته في تلك الحروب. وذهب نصر بن مزاحم المنقري مؤرخ وقعة صفين الشيعي إلى أنه كان من رؤساء أصحاب معاوية. ولم يبين ما إذا كان قُتل في صفين أو لم يقتل. ولكنه ذكر أنه أتى بما جعل معاوية يبغضه، حين قام خطيبا في أهل الشام فقال : "ويلكم ، يا معشر أهل اليمن! والله إني لأظنّ أن قد أذن بفنائكم. ويحكم ! خلوا بين هذين الرجلين فليقتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا" . وبلغت مقالة أبرهة عليا، فقال : "صدق أبرهة بن الصباح ! والله ما سمعت بخطبة — منذ وردت الشام — أنا بما أشد سرورا مني بهذه" . أما معاوية الذي كان يخاف من مبارزة عليّ فقال : "إني لأظنّ أبرهة مصابا في عقله" . فقال أبرهة :



لقد قال ابنُ أبرهةٍ مقالاً  
لأنَّ الحقَّ أوضحُ من غرور  
رمى بالفيلقين به جهاراً  
فخلوا عنهما ليثيَ عراكِ  
وخالفه معاويةُ بنُ حربٍ  
ملبسةً غرائضةً بحقِّبِ  
وأنتم وُلد قحطانٍ بحربٍ  
فإن الحقَّ يدفع كلَّ كذبٍ

وقال ابن عساكر: إن المدائني ذكر أن أبرهة بن الصباح كان عند عبد الملك بن مروان فاستشاره عندما عزم على قتل عمرو بن سعيد. ثم أنكر القصة، وخطأ المدائني، وصرح بأن الذي كان عنده هو ابنه كريب. وإلى هنا تنتهي حياة ذلك الرجل الذي أوقع المؤرخين في الحيرة والاضطراب والأخطاء منذ ظهر على صفحات التاريخ إلى أن اختفى منها، تنتهي حياة ذلك الرجل الذي كان يعد من الحكماء بعد أن خلف لنا أحاديث صرح الهمداني في النسب أنه كان يرويها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وخطبة يزيد بن أسد البجلي من أنصار معاوية في صفين، ومنظومته الواهنة السابقة الذكر، وأربعة أبناء أقاموا جميعاً في مصر، وكانت لهم أنصبتهم في أحداثها.

\*\*\*\*\*

## أبيض بن جمال المأربي (١)

هذا صحابي يحيط به الظلام ، ويكاد يغطي جميع أطراف حياته، فلا يظهر منها للضوء إلا لحظات قللت لا تكفى لجعله الشخص المنفرد.

ذكره أقدم مؤرخين مصريين أو اثنان من أقدم المؤرخين المصريين. فأورده عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (المتوفى ٢٥٧هـ) في أقدم تاريخ مصرى عربى بين أيدينا : كتاب «فتوح مصر والمغرب» . ووضعه بين الصحابة الذين دخلوا مصر، دون أن يحدد تاريخا لهذا الدخول. واقتصر على اسمه الأول : «أبيض» .

ويبدو أن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدى (المتوفى ٣٤٧هـ) لم يزد عليه. فما نقله عنه ابن حجر في «الإصابة» والسيوطى في «حسن المحاضرة» لا يضيف غير تأكيد ما أورده الأول.

ولما كان فى الصحابة جماعة يسمون أبيض كما قال النووى فى كتابه «تذيب الأسماء واللغات» ، وكما يبين من كتب تراجم الصحابة، فقد حار المؤرخون فى «أبيض» هذا ، وكثر الخلط بصدده.

فقطع يحيى بن عثمان (المتوفى ٢٨٢هـ) أنه «أبيض بن جمال المأربي» . وتوقف ابن حجر وقال : " لا أدري هو أبيض بن جمال أو غيره . ولكن البخارى أفرد لكل واحد منهما ترجمة خاصة " .

(١) نشر فى منبر الإسلام — يولية ١٩٦٣م

واعتمد ابن الأثير في أسد الغابة على هذا حين قطع بأن أبيض المذكور غير أبيض بن حمال، واحتاط ابن حجر بعد توقفه، وفعل ما فعله البخاري، غير أنه أضاف ما زاد المشكلة تعقيدا. فقد ترجم لأبيض ثالث، وقال عنه: "يحتمل أن يكون هو الذى قبله" وجعل المصريين يروون عنه حديثا غير ما روي عن أبيض الأول، وغير ما يروي عن أبيض بن حمال. فصار الاختلاط أمانا بين ثلاثة رجال لا رجلين. ولكننا لن نقف طويلا عند «أبيض» الثالث، لأن ما أورده عنه ابن حجر ضئيل لا يجعله شخصا منفردا عن السابقين.

أما «أبيض» الأول، فقد أجمع كل من كتب عنه على أن اسمه كان «أسود». فغيره النبي صلى الله عليه وسلم إلى «أبيض» وكثيرا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك.

قال أبو داود في سننه ( ٢ : ٣٢١ ) : «وغير النبي صلى الله عليه وسلم أسماء العاص وعزير وعتلة وشيطان والحكم وجراب وشهاب، فسماه هشاما، وسمى حربا سلما، وسمى المضطجع المنبعث، وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزينة سماهم بنو الرشدة» .

ولا تظم القائمة السابقة كل الأسماء التي غيرها النبي صلى الله عليه وسلم. فقد روى البخاري (طبعة ليدن ٤ : ١٥٧) أن المنذر بن أبي أسيد حين ولد، أتى به أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما اسمه؟ فقال أبوه: فلان. فقال صلى الله عليه وسلم: لا، ولكن اسمه المنذر.

وفعل ذلك مع أبناء علي بن أبي طالب: الحسن، والحسين، والحسن، الذى أراد أبوهم أن يسمى كلا منهم حربا، فلم يوافق عليه الصلاة والسلام، وأطلق عليهم أسماءهم التي نعرفها.

وكان لعمر بن الخطاب ابنة تسمى عاصية، فسمها النبي صلى الله عليه وسلم جميلة.

وذكر أبو داود أن رجلا يقال له أصرم كان في نفر أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اسمك؟ قال: أنا أصرم، قال: بل أنت زرعة.

ومن المستطاع عند التأمل في الأسماء التي غيرها عليه الصلاة والسلام أن هتدى سريعا إلى أسباب هذا التغيير. فهي أسماء قبيحة، أو تبث على التشاؤم، أو تعطى إجماع غير طيب لا يتفق مع الدعوة الإسلامية أو الخلق الإسلامي.

وتوجد بعض الأسماء التي قد تغيب الحكمة في تغييرها عنا، فأوضح صلى الله عليه وسلم سبب التغيير. ذكر أبو داود أن هانئا لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يكتونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال: أن الله هو الحكم وإليه الحكم، فلم تكني أبا الحكم؟ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فأرضى كلا الفريقين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟ قال: لي شريح ومسلم وعبد الله. قال: فمن أكبرهم؟ قال: شريح. قال: فأنت أبو شريح.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن زينب كان اسمها برة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تزكى نفسها! وسمها زينب.

وروى مسلم (٦ : ١٧٣) عن ابن عباس أن جويرية كانت اسمها برة، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال خرج من عند برة.

وقال سمرة بن جندب: ثمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسمى رقيقنا بأربعة أسماء: أفلح ورباح ويسار ونافع. فانك تقول : أثم هو ؟ (هل هو موجود؟) . فيقال : لا .

ولم يقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على تغيير الاسم الذى يستهجنه بل كان يحث المسلمين على حسن التسمية. قال أبو الدرداء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، أحسنوا أسماءكم».

وضرب الأمثلة بما يحث عليه من أسماء. روى ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن».

ولا يختلف المؤرخون كثيرا في أبيض بن حمال، وما قام به من أحداث. فقد أجمعوا على نسبه وموطنه. فهو أبيض بن حمال بن مرثد بن ذى لحيان، من الشطر الذى أقام باليمن من بنى الأزد ولم يهاجر إلى بقية أرجاء شبه الجزيرة العربية، بعد سيل العرم ، وما أصاب اليمن من كوارث. وموطنه مأرب.

وفي أواخر سنة ٩ هـ، بعد أن غزا النبي صلى الله عليه وسلم تبوك في رجب وأسلم بنو تقيف في رمضان، تقاطرت وفود القبائل العربية على المدينة لتعلن قبولها الإسلام وانقيادها لسلطة النبي صلى الله عليه وسلم . فجاء من اليمن الجارود في بنى عبد القيس، وفروة بن مسيك في بنى مراد، وعمرو بن معد يكرب في زييد، والأشعث بن قيس في بنى كندة، وصرد بن عبد الله في بنى الأزد، ورسلم ملك حمير. ويذهب أكثر المؤرخين إلى أن أبيض كان في وفد الأزديين. ويبدو أنه كان على شىء غير قليل من الغنى والمكانة. فقد قال ابن سعد عنه : «أسلم على ثلاثة إخوة من كندة كانوا عبيدا له ، وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبعين حلة» . وذكر النووى أن جماعة أخرى من المؤرخين ترى أنه لم يفد على

النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، وإنما لقيه في مكة في حجة الوداع، وكانت في العام نفسه.

ووقع في هذا اللقاء أمران يدلان على مكانة أبيض بن جمال عند النبي صلى الله عليه وسلم .

فقد روى أبيض أن حزاة — أى قوباء — كانت قد أصابته في وجهه، واتسعت حتى كادت تأتي عليه كله، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه، فمسح على وجهه. فلم يمض ذلك اليوم وبه أثر منها. وانتهاز أبيض فرصة رضى النبي صلى الله عليه وسلم عنه، فسأله أن يهب له ملح مارب.

وقد وصف الهمداني ذلك الموضع فقال : «جبل الملح في بلاد مارب، ولا نظير له، وهو ملح ذكر، ذو جوهرية وشفاء كالبلور، وهو الملح البرى». ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على معرفة بالمنطقة ولا بأهمية الموضع، فاستجاب لسؤال أبيض. ولكن أحد الجالسين إليه نبهه فقال : يا رسول الله ، أتدرى ما أقطعتة ؟ إنما أقطعتة الماء العد ( أى الماء الجارى الذى لا ينقطع ) . فاسترجع النبي صلى الله عليه وسلم الرجل، وأرضاه بأرض وماء في جوف بني مراد حتى تنازل له عن هبته. وعاد أبيض بن جمال إلى بلده باليمن. وأقام بها إلى أن كانت الفتنة الأولى: الردة، وتفرقت أهواء أهل اليمن، فكان منهم من حافظ على إيمانه، وأدى جميع شعائره، ومنهم من افتتن.

ويبدو أن أبيض كان من الأولين، إذ قال ابن حجر : «روى الطبراني أنه وفد على أبي بكر لما انتقض عليه عمال اليمن، فأقره أبو بكر على ما صالح عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقة. ثم انتقض ذلك بعد أبي بكر وصار إلى الصدقة» .

ثم يستحکم الظلام ويتكاثف حول أبيض بن جمال، فلا نستطيع أن نستشف من ورائه شيئا من وقائع حياته في بقية عهد أبي بكر وعمر غير ما وقع من خلاف — سبق ذكره — بين المؤرخين بصدده شهوده فتح مصر .

ووضع ابن حزم في رسالته المسماة «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد» أبيض بن جمال بين أصحاب التسعة أى الذين رووا تسعة أحاديث. وذكر النووى أن حديثه كان عند أولاده، ولكن غير النووى حدد فقال إن ابنه سعيدا هو الذى روى عنه.

وشارك ابنه في هذه الرواية سمير بن عبد المدان . وصرح ابن عبد الحكم بأن المصريين رووا عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث، كلها أغربوا بها. وتبين من تراجمه أن أصحاب السنن الأربعة وابن حبان رووا أحاديثه.

\*\*\*\*\*

## أبيض بن هُنَى (١)

هذا رجل ذكره الذهبي في التجريد، وابن الأثير في أسد الغابة، وابن حجر في الإصابة، واتفقوا على أنه من الصحابة . بل اتفقوا على الفقرة القصيرة كل القصر التي أوردوها عنه. ويبدو أن المتأخر منهم تلقفها عن المتقدم، ولم يزد بها بحثاً، ولا أضاف إليها جديداً وربما فعل المتأخر ذلك، ولكن بحثه ذهب أدراج الرياح، إذ لم يؤد به إلى أكثر مما قال المتقدم، وهو قول لا يعطينا كثيراً عن الرجل، بل يعطينا أقل القليل.

ولعل ذلك يثير دهشة في قارئ: كيف يحفى رجل من صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتتوارى أحداث حياته، عن أنظار الكتاب، حتى يصير رجلاً مبهماً مثل أبيض بن هُنَى ؟

ولكن الدهشة لا تلبث أن تزول حين نحاول أن نجيب عن هذا السؤال، فنتبع كتب الصحابة، وما سلكته من مناهج في معرفتهم، وجمع أخبارهم. وأول ما يبدو واضحاً أمام الباحث أننا أمام وفرة من الكتب التي تعرضت للصحابة مفردة لهم، أو غير مفردة، وأن المؤرخين عنوا بتاريخ الصحابة منذ زمن مبكر، وأنهم لم يقتصروا على التاريخ المجرد بل تبيينوا أصنافاً، أفردوا كلا منها، وتحدثوا عنه، وخصوه بالتأليف.

والمعروف أن أول من ألف في الصحابة هو الهيثم بن عدي (حوالي ١٣٠ — ٢٠٧ هـ) ثم محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ — ٢٠٧ هـ)، ثم محمد بن

(١) نشر في منبر الإسلام — أكتوبر ١٩٦٣ م

سعد (١٦٨ - ٢٣٠هـ)، وقد بقى كتابه «الطبقات الكبير» ، وطبع في ليدن وبيروت، وتوالت المؤلفات بعد ذلك وتعددت.

ومن الذين قصدوا إلى ناحية خاصة من الصحابة، وعالجوا صنفا معينا منهم، الإمام ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦ هـ) ، الذى أفرد رسالة خاصة «لأسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد» ، وأخرى « لأصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم» ، ومحمد بن الربيع الجيزى وجلال الدين السيوطى اللذين أرخا لمن دخل مصر من الصحابة خاصة.

ولم يكن تناول هؤلاء المؤلفين للصحابة تناولا عفويا أو عشوائيا ، بل وضعوا أمام أنفسهم مفهوما محددًا لمن يتشرف بحمل لقب "الصحابي". الذى يعده المسلمون من أشرف الألقاب. وبسبب هذا الشرف الذى يغدقه على حامله، وقعت بعض خلافات بين العلماء فى مفهومه. تكشف عن طباع أصحابها من التسامح والتشدد. فالأول يتسع به ليشمل كثيرين كان لهم شرف الاتصال بالرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - مهما كان لون هذا الاتصال وحقيقته. والثانى يضيق نطاقه حتى لا يحظى به إلا قليلون.

فقد ذهب جمهور العلماء إلى أن كل من رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - يلقب بالصحابي. ونص على أن مجرد الرؤية كاف البخارى، وأبو زرعة، وغير واحد ممن صنف فى أسماء الصحابة كابن عبد البر، وابن حجر. وفعلوا ذلك "لشرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجلاله وقدره وقدر من رآه من المسلمين".

وفرق بعض الذين وسعوا مفهوم الصحابي بين الصحابة، عند الرجوع إليهم فى الأمور الخاصة، فأطلقوا القول حيناً، وقيدوه ببعض الشروط فى أحيان أخرى تتعلق بأمر الدين.

قال ابن حجر : «وأطلق جماعة أن من رأى النبي — صلى الله عليه وسلم — فهو صحابي ، وهو محمول على من بلغ التمييز، إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه. نعم ، يصدق أن النبي — صلى الله عليه وسلم — رآه، فيكون صحابيا من هذه الحيشية. ومن حيث الرواية يكون تابعيا» . فالرؤية كافية عند القول العام، ولكن لا تكفى عند رواية الحديث، بل يجب أن يكون الصحابي قد دخل سن التمييز عند ما رأى النبي — صلى الله عليه وسلم — وسمع منه .

وأضاف بعض هؤلاء المتوسعين شرطا آخر، استبعد به غير المسلمين من مشاهديه. قال ابن حجر : " أصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي : من لقي النبي — صلى الله عليه وسلم — مؤمنا به ، ومات على الإسلام . . . " .

ولم يرض بعض العلماء عن الرؤية المجردة، واشترط أن يقترب بها أن يروى الرجل حديثا أو حديثين عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فإن فعل الرجل ذلك كان "صحابيا" ، وإلا فلا .

وأضيق ما كان نطاق مفهوم الصحابي، عند سعيد بن المسيب، الذي قال : لا بد من أن يصحبه سنة أو سنتين، أو يغزو معه غزوة أو غزوتين" . ويبدو أن أنس بن مالك كان من هذا الرأي. فقد سأله موسى السبلائي: هل بقي من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحد غيرك؟ فقال : ناس من الأعراب رأوه ، فأما من صحبه فلا.

وأبان العلماء الطريق إلى تطبيق هذا المفهوم، ومعرفة على الصحابة. فوضعوا أمامنا عدة طرق إلى ذلك. فأولها وأعلها التواتر، وهو الطريق الذي عرفنا بالصحابة العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم من الصحابة المعروفين. ثم الأخبار المستفيضة، التي عرفتنا بأمثال ضمام بن ثعلبة، وعكاشة بن محصن. ثم شهادة أحد الصحابة المعروفين لرجل آخر بأنه كان له صحبة. كما شهد أبو موسى الأشعري

لحممة بن أبي حمزة الدوسي. ثم روايته عن النبي — صلى الله عليه وسلم — سماعاً أو مشاهدة مع المعاصرة. ثم شهادته لنفسه بأنه صحابي، بشرط أن يكون عدلاً. وفي الطريق الأخير خلاف مع العلماء.

ويعد أن استقر العلماء على المفهوم، والطريق إلى تطبيقه، بحثوا عن الصحابة، منذ أن كانوا إلى أن لم يعد لهم وجود. واتفقوا على أن السيدة خديجة بنت خويلد كانت أول من آمن به من النساء، فكانت أول صحابية، وأن زيد بن حارثة أول من آمن من الموالى، وبلال بن رباح أول من آمن من الأرقاء، وأن سلماناً أول فارسي، وصهيباً أول رومي. فكانوا أول من تلقب بالصحابي من الفئات والأجناس التي ينتمون إليها. واختلف الرأي بين أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، ويكاد يستقر الرأي على أن الأول أول من آمن من الرجال، والثاني أول من آمن من الصبيان.

وحاول العلماء أن يتعرفوا آخر الصحابة موتاً، فذهب بعضهم إلى أنه أنس بن مالك. وبعضهم الآخر إلى أنه أبو الطفيل عامر بن وائلة الليثي. وعدل علماء آخرون عن الإطلاق، ونظروا إلى موضع موضع من الأماكن التي أقام بها الصحابة. فاتفق أكثرهم على أن عامر بن وائلة أو عبد الله بن عمر آخر من مات من الصحابة بمكة، وجابر بن عبد الله أو سهل بن سعد أو السائب بن يزيد آخرهم بالمدينة، وأنس بالبصرة، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وعبد الله بن بسر بجمص. ووائل بن الأسقع بدمشق، وعبد الله بن الحارث بن جزء بمصر، والهرماس بن زياد باليمامة، والعرس بن عميرة بالجزيرة، ورويفع بن ثابت بأفريقية، وسلمة بن الأكوع بالبادية.

وفاضل العلماء بين الصحابة ، فقدموا الخلفاء الراشدين مع الخلاف بينهم في شأن علي بن أبي طالب وتقدمه على أبي بكر ثم عثمان. و قدموا بعدهم العشرة ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان.

وجعل بعض العلماء الصحابة طبقات، فمنهم من أكثر عددها، ومنهم من قللها. فقد جعلهم الحاكم التتى عشرة طبقة ، هى :

- ١ - قوم تقدم إسلامهم بمكة، كالخلفاء الأربعة.
- ٢ - الصحابة الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة فى دار الندوة.
- ٣ - مهاجرة الحبشة.
- ٤ - أصحاب العقبة الأولى .
- ٥ - أصحاب العقبة الثانية .
- ٦ - أول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - بقاء قبل أن يدخل المدينة.
- ٧ - أهل بدر .
- ٨ - المهاجرون بين بدر والحديبية .
- ٩ - أهل بيعة الرضوان .
- ١٠ - المهاجرون بين الحديبية وفتح مكة.
- ١١ - مسلمة الفتح .
- ١٢ - صبيان وأطفال رأوا النبى - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح وفى حجة الوداع وغيرهما.

وجعلهم محمد بن سعد خمس طبقات. واقتصر ابن حجر فى كتابه على أربع سماها أقساما، وأولها فىمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو غيره، سواء كانت الطريقة صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأى



طريق كان . وثانيها فيمن ذكر في الصحابة من الأطفال الذين ولدوا في عهد النبي — صلى الله عليه وسلم — لبعض الصحابة من النساء والرجال ممن مات — صلى الله عليه وسلم — وهو في دون سن التمييز. وثالثها فيمن ذكر في الكتب المذكورة من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد في خير قط أنهم اجتمعوا بالنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ولا رواه، سواء أسلموا في حياته أم لا، وهؤلاء ليسوا أصحابه باتفاق من أهل العلم بالحديث، وإن كان بعضهم قد ذكر بعضهم في كتب معرفة الصحابة، فقد أفصحوا بأنهم لم يذكروهم إلا لمقاربتهم لتلك الطبقة لا أنهم من أهلها. وآخر الأقسام فيمن ذكر في الكتب المذكورة على سبيل الوهم والغلط، وبيان ذلك البيان الظاهر الذي يعول عليه على طرائق أهل الحديث، ولم يذكر فيه إلا ما كان الوهم فيه بينا، وأما مع احتمال عدم الوهم فلا، إلا إن كان ذلك الاحتمال يغلب على الظن بطلانه.

وحاول المؤرخون أن يتبعوا ازدياد عدد الصحابة على مر الأيام، فأفلحوا في أكثر المواطن. ذكر ابن إسحاق أن جميع من لحق بأرض الحبشة مهاجرا إليها من المسلمين ثلاثة وثمانون رجلا. سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا أو ولدوا بالحبشة. وذكر أن أصحاب العقبة الأولى اثنا عشر رجلا، على حين شهد العقبة الثانية سبعون والأخيرة سبع وتسعون.

وبلغ عدد المقاتلين في بدر ٣١٣ أو ٣١٤ ، كان ٨٣ منهم من المهاجرين، و ٦١ من الأوس، و ٧٠ من الخزرج.

وذكر مسور بن مخزومة ومروان بن الحكم أن الذين شاركوا في بيعة الرضوان كان ٧٠٠ مسلم . واختلفت الرواية عن جابر بن عبد الله ، فذكر ابن إسحاق أنه جعل عددهم ١٤٠٠ ، وذكر سعيد بن المسيب أنه جعلهم ١٥٠٠ . وارتفع العدد عند فتح مكة إلى ١٠٠٠٠ ثم في غزوة حنين إلى ١٢٠٠٠ .

## ابن أم حرام<sup>(١)</sup>

هذا رجل يحار من يتعرض له ، إذ يرى الظلام يحيط به من جميع الأنحاء ، فيلمس طريقه ويتحسس خطوة بعد خطوة. فالتراع والخلاف بين المؤرخين يكاد يشمل كل ما يتصل به، وينسب إليه من أقوال وأفعال.

والخلاف الأول في اسمه الأول. فكل من ترجم له وضعه تحت اسم "أبي" وعلى الرغم من ذلك، أوردوا القول المنسوب إلى إبراهيم بن أبي عبلة ، الذى قال إنه رأى الرجل وسمع منه وروى عنه. قال : إنه لم يكن يسمى أبيا ، بل هو أبو أبى. وارتضى ابن أبى حاتم هذا القول، وقال: من قال : أبى أخطأ، إنما هو أبو أبى . . . . . وعلل بهذا عدم تعرض البخارى له فى تاريخه الكبير.

ولا عجب أن يميل المرء إلى قول إبراهيم بن أبى عبلة لأنه التقى بالرجل ، ولأنه من اليسر أن يظن القارئ إذا ما وقع نظره على "أبى أبى" أن الكلمة تكررت نتيجة هفوة أو غفلة وإذن فالرجل الذى أمامنا كان يكنى "أبا أبى" ، فإذا كان الأمر كذلك ، فما اسمه ؟ .

قال إبراهيم بن أبى عبلة : اسمه عبد الله. وذلك هو الأرجح. وأورد ابن حجر فى «تقديب التهذيب» أن ابن حبان حكى فى الصحابة ان اسمه «شمعون» ولم يتابعه أحد فى قوله .

(١) نشر فى منبر الإسلام — ديسمبر ١٩٦٣م



واختلف في اسم ابيه. فقال ابن عبد البر في الاستيعاب: "قيل: عبد الله بن أبي. وقيل: عبد الله بن كعب". واستبعد ابن حجر في التهذيب الاسم الأول، إذ قال: "قال ابن عبد البر: بعضهم يقول: عبد الله بن أبي. وهو خطأ". وقال ابن أبي حاتم: يقال: ابن عبادة. وذكر ابن حجر في الإصابة أن البغوى حكم أن اسمه كذلك.

ولكن من ذهبوا إلى أن اسمه "أبي" جعلوا اسم أبيه عمارة. وافترقوا في عينه فريقيين أجمل النووى آراءهم في قوله: "هو مكسور العين، ويقال: بضمها والكسر أشهر. وبه جزم أبو نصر بن ماكولا وآخرون من أئمة هذا الشأن. وحكى جماعة فيه الكسر والضم جميعا منهم الحفاظ أبو عمر بن عبد البر، وأبو بكر السبيهى، وأبو محمد عبد الغنى المقدسى، وآخرون. وكل من حكى الوجهين قال: الكسر أشهر وأكثر إلا ابن عبد البر فقال: الأكثر على الضم. واتفقوا على أنه ليس في الأسماء عمارة بالكسر غيره".

ويتفق مع النووى فيما رواه عن ابن عبد البر كل من نقل عن الاستيعاب، وإن كانت النسخة المطبوعة منه تخالفهم وتقول: "الأكثر يقولون: ابن عمارة بكسر العين".

وأما الذين رأوا أنه كان يكنى "أبا أبي" فقد ذهبوا إلى أن اسمه الكامل عبد الله بن عمرو بن قيس، كان من بنى سواد بن مالك بن غنم ثم من بنى النجار، ثم من الخزرج من الأنصار.

ولعلنا لا نبعد عن الصواب حين نخرج من كل هذا الخلاف بما يشبه الاطمئنان إلى أن الرجل كان يسمى "أبا أبي عبد الله بن عمرو النجارى الخزرجى الأنصارى".

ويهجس في نفسى خاطر لا سبيل إلى تأكيده: أن عمرا وعمارة اسمان أطلقا على رجل واحد. وربما كان أحدهما تديلا، وخاصة أن النسب مكتمل مع عمرو، ومقطوع مع عمارة.

ويبدو أن هذه التفرقة بين عمرو وعمارة تسببت في كثير من الأحكام الخاطئة أو المتناقضة، مثل ما أورده النووى من أن بعض العلماء أنكروا كون أبي من الصحابة.

وقد ذكر الواقدي وأبو معشر أباه وأخاه قيسا فيمن شهد غزوة بدر. ولكن ابن إسحاق لم يتفق معهما، بل ذكر عشرة من بني سواد بن مالك بن غنم شهدوا بدرًا، وليس فيهم الرجلان، وصرح ابن الأثير ألا خلاف بين المؤرخين أن أباه وأخاه استشهدا بأحد.

أما أمه فهي أم حرام بنت ملحان النجارية الأنصارية، خالة أنس بن مالك. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمها، ويזורها في بيتها، يقبل عندها، ودعا لها بالشهادة، فاستشهدت بقبرص في خلافة عثمان بن عفان.

وافترق الأب والأم: ولست أدري يقينا متى كان ذلك؟ أبعد استشهاد الرجل في أحد أم قبل ذلك كثيرا وإن كنت أرجح التاريخ الثاني لما يقال عن أبي عبد الله.

وتزوجت أم حكيم من عبادة بن الصامت، فربى ابنها عبد الله. واشتدت الصلة بين الرجل وربيبه حتى أخطأ بعض الناس وظنوها لونا من القرابة، فقالوا عن عبد الله: أنه ابن أخت عبادة، وقالوا ابن أخيه.

وأخطأ ابن سعد في تعاقب الزوجين على أم حكيم قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: "قال ابن سعد: تزوجت (أم حكيم) عبادة بن الصامت فولدت له محمدا، ثم خلف عليها عمرو بن قيس بن زيد بن سواد الأنصاري كذا قال،

والصحيح العكس. فقد قال غير واحد، وثبت عن غير واحد، أنها خرجت مع زوجها عبادة في بعض غزوات البحر وماتت في غزاتها .

ووصف ابن عبد البر عبد الله بأنه " كان قديم الإسلام، ممن صلى القبلتين". واقتصر ابن عبد الحكم على قوله : " صلى القبلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم ". أما ابن حجر والذهبي فقد قالوا: "صلى النبي — صلى الله عليه وسلم — في بيته". وزاد ابن الأثير والنووي الأمر وضوحا وتحديدا، إذ قالوا : "صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيته إلى القبلتين" وخالفهم ابن عبد البر، فذكر أن الصلاة لم تكن في بيته وإنما في بيت أبيه. وأحسب أن سبب الخلاف كنيته، إذ ظن جماعة أنها تشير إلى أبيه وجماعة أنها تشير إليه.

وبالرغم من قدم إسلام عبد الله ، صرح ابن سعد وابن حجر في التهذيب أنه لم يشهد غزوة بدر، التي شهدا أبوه وأخوه. ثم لم يذكر أحد من المؤرخين أنه شهد أية غزوة أخرى. ولعل ذلك كان لصغر سنه.

ولكن المؤرخين لم يذكروه في الفتح أيضا. ولعله اشترك فيها، غير أنه لم يكن له نصيب بارز، يلفت إليه الأنظار، فيسجل له. وكان هذا النصيب في حروب الشام. فقد انتقل من المدينة وسكن الشام. وبقي به إلى أن مات ببيت المقدس أو دمشق. ذكر يحيى بن منده أنه آخر من مات بفلسطين من الصحابة. وترك عقباً له في بيت المقدس.

ويبدو أن عبد الله انتقل من الشام — في أثناء إقامته به — إلى مصر، لأمر ما. بل ربما سكنها مدة، كما قال ابن حجر والنووي والخزرجي وابن عبد الحكم. وروى المصريون عنه فأدخله أبو زرعة في مسند المصريين. وروى عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن مريبه عبادة بن الصامت.

وروى عنه إبراهيم بن أبي عبلة، وعبادة بن نسي، وضمضم بن المثني الاملوكي. وأخطأ بعضهم في الرواة عنه. قيل في تهذيب التهذيب: " ذكر أبو الفتح الأزدي في المخزون: لا يحفظ أنه روى عنه غير أيوب بن قطن. وقال ابن عبد البر: روى عنه عبادة بن نسي. وقوله صواب، فإن أيوب بن قطن أو وهب ابن قطن إنما روى عنه بواسطة عبادة بن نسي. وهكذا رواه أبو داود وابن حبان والبيهقي وغيرهم. وسقط عبادة بن نسي من نسخة ابن ماجه المطبوعة. وبحث كنيته عليه مرة أخرى، فاضطرب المؤرخون فيه. يمثل ذلك الاضطراب ابن حزم في رسالة أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد. فقد وضع في أصحاب الأفراد - أى رواية الحديث الواحد - من أسماءهم: أبا أبي (٣١٠) وأبا أبي الأنصارى (٣٠٢)، وأبا أبي عمارة (٣٠٥)، وأبا أبي بن أم حرام (٣٠٤). ووضع بين أصحاب الاثنين أنه روى حديثا واحدا عن المسح على الخف.

وربما كان أدق من عبر عن هذه المسألة ابن عبد الحكم الذى لم يعمم القول وحدده حين قال إن المصريين لهم عنه حديث واحد، فلا ينفي ذلك أن يروى عنه غير المصريين غير ذلك الحديث، وذلك هو الحق.

جاء في طبقات ابن سعد: "أخبرنا قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن أبي المثني الحمصي، عن أبي ابن امرأة عبادة بن الصامت قال: كنا جلوسا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إنه ستجىء أمراء، تشغلهم أشياء يؤخرون الصلاة حتى لا يصلوا الصلاة لوقتها، فقال رجل: يا رسول الله، ثم نصلى معهم؟ قال: نعم".

وجاء في الاستيعاب: ذكر أبو أحمد الحافظ قال: أخبرني أبو الحسن أحمد بن عمير قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن هارون الفريابي قال: ناعمرو بن بكر بن تميم السكسكى قال: نا إبراهيم بن أبي عبلة قال: سمعت أبا أبي . . . يقول: قال

رسول الله — صلى الله عليه وسلم — «عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام . قالوا يارسول الله ، ما السام ؟ قال الموت» . وأورد علاء الدين الكحال الحديث في كتابه "الأحكام النبوية في الصناعة الطبية" ص ٧٢ وأخرجه ابن ماجه . وفسروا السنا بأنه نبات حجازى، وتعددت أقوالهم في السنوت. فقالوا : العسل ، ورُبَّ عُكَّة السمن، وحبَّ يشبه الكمون وليس به والكمون الكرمانى، والرازيانج، والسبت، والتمر ، والعسل الذى يكون فى زقاق السمن.

وأخيرا الحديث الذى قيل إنه انفرد به، وأثار عدة مناقشات وأقوال ، قال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر: "يحيى بن أيوب، عن عبد الرحمن بن رزين، عن محمد ابن يزيد بن أبي زياد، عن أيوب بن قطن، عن أبي عمارة . . . قال : قلت : يارسول الله ، أمسح على الخفين ؟ قال : نعم . قلت : يوم ؟ قال: ويومان . قلت : ويومان؟ قال: وثلاثة. قلت: وثلاثة ، يارسول الله؟ قال : نعم، وما بدا لك . . . حدثناه سعيد بن عفير. قال : وحدثناه عمرو بن سواد، عن ابن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن عبد الرحمن بن رزين، عن محمد بن يزيد بن أبي زياد، عن أيوب بن قطن، عن عبادة بن نسي، عن أبي بن عمارة. ولم يذكر ابن عفير عبادة بن نسي" . وأخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم.

فالعريب أن ابن الأثير وابن حجر أوردا الحديث عن سعيد بن عفير، وذكر فى سننه عبادة بن نسي، ثم قالوا: "رواه عمرو بن الربيع بن طارق، عن يحيى بن أيوب، ولم يذكر عبادة بن نسي". ومر قول ابن حجر : "رواه أبو داود وابن حبان والبغوى وغيرهم. وسقط عبادة بن نسي من إسناده عند ابن ماجه وحده"

ولذلك طعن المحدثون في الحديث . قال ابن عبد البر: اضطرب في إسناد حديثه. وقال أبو داود : اختلف في إسناده وليس بالقوى. وقال ابن حجر في الإصابة: الإسناد ضعيف. وقال ابن حبان في الصحابة: لست أعتد على إسناد خبره. وقال الدارقطني: إسناده لا يثبت . وقال ابن معين: إسناده مظلم. وقال البخاري: إسناده مجهول. وقال أحمد بن حنبل : رجاله لا يعرفون. وأخيرا قال النووي: اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف مضطرب.

ولا يقتصر النقاش على سند الحديث بل يتعداه إلى متنه أيضا. فقد أوردت كتب الأحاديث عن علي بن أبي طالب ، وصفوان بن عسال، وخزيمة بن ثابت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «رخص للمقيم أن يمسخ على خفه يوما وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن».

وأخيرا وقع بعض العلماء في أخطاء أخرى نتيجة الخلط بين رجلنا ورجل آخر، كان يدعى أبي بن عمارة العبسي. قال ابن حجر في الإصابة عن رجلنا: " ذكر ابن الكلبي عن أبيه أنه أدركه، وأن أباه عمارة أدرك خالد بن سنان العبسي السدي يقال إنه كان نبيا" . وقال في ترجمة العبسي : "فيحتمل أن يكونا واحدا" . وفي خلدي أنه احتمال بعيد، فخالد وعمارة الذي أدركه عبيان، أما الرجل الذي درسناه فأنصاري .

\*\*\*\*\*



## أبو الأعور السُّلَمي<sup>(١)</sup>

للأدب العربي في مصر قصة تختلف بعض الاختلاف عن قصته في غير مصر من أقطار العروبة. فقد بدأت دراسة الأدب العربي المصري بمعركة عنيفة دارت بين مؤرخي الأدب حول أساس هذا الأدب: هل وُجد أدب عربي مصري؟. أو إن شئنا الدقة: هل وجد أدب يستحق هذه التسمية، أو لم يوجد؟ .

وكان سبب هذه المعركة عدم حصولنا على نصوص من الأدب العربي المصري، في العهود الإسلامية الأولى، تتوفر لها الكثرة والجودة، فتحسم الأمر. فقد ذهبت فئة من الدارسين إلى أن العرب الذين نزلوا مصر لم ينتجوا أدبا، وافترضت طائفة أخرى، أن شأنهم شأن إخوانهم من العرب. أنتجوا الأدب، ولكن الآثار التي دوّنت هذا الأدب ضاعت فيما ضاع من تراث العروبة.

ومنذ ذلك الحين، والقائمون بدراسة الأدب العربي المصري في صراع مع مصادر الأدب ومراجعته بحثا عن نصوص وشعراء ينتمون إلى الأدب المصري. وإن المدارس فيهم ليفرح بالنص الصغير يعثر عليه فرحته بالكثير الضائع الذي لا أمل فيه.

واليوم أقدم للدارسين شاعرا حلّ بمصر مدة من الزمن، ولم يلتفت إليه أحد من مؤرخي الأدب المصري.

(١) نشر في مجلة المجلة - فبراير ١٩٦٠م

كُنِيَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الْأُولَى أَبَا الْأَعْوَرِ، وَغُرِفَ اثْنَانِ مِنْهُمْ بِاسْمِ عَمْرٍو بْنِ سَفِيَانَ. فَجَلَبَ هَذَا الْكَثِيرُ مِنَ الْخِلَافِ بَيْنَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِالرَّجُلِ الَّذِي نَعْنَى بِدِرَاسَتِهِ.

وَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْبَاحِثِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنِ الشَّخْصِ الْمُرَادِ، أَنْ يَذْكُرَ كَلِمَةً عَنِ رَجُلَيْنِ:

أَوَّهْمَا: أَبُو الْأَعْوَرِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ (ج ٣ ق ٢ ص ٧٠)، وَرَوَى أَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَأَحَدًا وَلَيْسَ لَهُ عَقَبٌ، وَبَيَّنَّ أَنَّ النَّاسَ تَخَطَّوْا فِي اسْمِهِ، وَأَنَّ صَبَحَتَهُ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ بْنِ عَيْسَى مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الْأَنْصَارِ .  
وَالثَّانِي: عَمْرٍو بْنُ سَفِيَانَ الثَّقَفِيُّ، الَّذِي شَهِدَ مَوْقِعَةَ حُنَيْنٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ أَسْلَمَ، وَسَكَنَ الشَّامَ بَعْدَ الْفَتْوحِ.

وَلَعَلَّ أَوَّلَ مَا نَعَالَجُ مِنْ اخْتِلَافِ الْمُؤَرِّخِينَ فِي رَجُلِنَا اسْمُهُ . فَقَدْ غَلَبَتْ كُنْيَتُهُ عَلَى اسْمِهِ وَاشْتَهَرَ بِهَا فَأَلْسَى النَّاسَ اسْمَهُ. فَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّهُ عَمْرٍو بْنُ سَفِيَانَ، وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ جَعَلَهُ سَفِيَانَ بْنَ عَمْرٍو. وَذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ (الإصابة ٤ : ٣٠٢) أَنَّ ابْنَ يُونُسَ " ذَكَرَهُ فِيمَنْ اسْمُهُ الْحَارِثُ . . . فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ بْنِ عَلِيٍّ أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ " . وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَقَّبَهُ بِالثَّقَفِيِّ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ.

وَوَاضِحُ الْخِلَاطِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْتُمَا . وَإِذْنًا فَتَحْنُ نَطْمِثُنَ إِلَى أَنَّهُ أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ عَمْرٍو بْنُ أَبِي سَفِيَانَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ سَعْدٍ . . . مِنْ بَنِي سَلِيمٍ<sup>(١)</sup>.

(١) يُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ حَرِيمٍ يَذْكُرُ وَقْعَةَ صَفِينِ:

وعمرؤ بن سفیان علی شر آله بمعترك حام أحر من الجمر

انظر : أسد الغابة ٤ : ١٠٩ ، والإصابة ٤ : ٣٠٢ .

ولم يختلف المؤرخون في أن أمه قريبة بنت قيس بن عبد الله السهمية القرشية، كما اتفقوا على أن ابن أبي حاتم ذكر أن أبا الأعور السلمي أدرك الجاهلية.

ولكن اختلفوا في صحبته للرسول : فقال مسلم وأبو أحمد الحاكم في الكنى: له صحبة . وذكره البغوي وابن قانع وابن سميع وابن منده ويحيى بن معين والطبري وغيرهم في الصحابة، ووضعه ابن حجر في القسم الأول من حرف العين مما يدل على ذهابه إلى أنه صحابي . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : لا صحبة له . وتبعه أبو أحمد العسكري . وذكره البخاري فيمن اسمه عمرو ، ولكن لم يذكره في الصحابة . واستصوب ابن عبد البر أنه غير صحابي .

واستتبع ذلك أن قال ابن أبي حاتم: إن أبا الأعور لا رواية له عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن حديثه عنه مُرْسَل يرون غير مباشر . وقال ابن منده : روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وروى عنه قيس بن حـازم ، وأبو عبد الرحمن الحلبي، وعمرو البكالي، رروا عنه قوله صلى الله عليه وسلم : «إنما أخاف على أمتي شحا مطاعا، وهوى متبعا، وإماما ضالا» .

وقال النافون لصحبته إنه شهد حُنَيْنَا كافرين ثم أسلم بعد، هو ومالك بن عوف النضري، وحدث بقصة هزيمة هوازان بـحْنين . وقد عرفنا أن الذي فعل ذلك هو عمرو بن سفيان الثقفي وليس السلمي يؤيد ذلك أن السلمي تولى قيادة عدة جيوش، والطبري يقول: ( ١ : ٢٣٩٨ ) : "وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم " وإذن فتحن نرجح أنه صحابي .

وأبلى أبو عمرو (الأعور) في فتوح الشام بلاء حسنا . فكان على رأس إحدى الفرق في موقعة اليرموك سنة ١٣ هـ ، وكان واحدا من عشرة قواد سرحهم أبو عبيدة الجراح للاستيلاء على فحل ، وكان القائد الذي صالحه أهل

طبرية . ونال جزاءه إذ استخلفه عمرو بن العاص على الأردن سنة ١٥ هـ .  
وشارك في غزو عمورية وقبرص، وكان أمير جيش الشام في المعركة الأولى.  
ويبدو أنه بقي أميراً على الأردن طوال عهد عمرو وعثمان، فقد مات  
الثاني وهو والٍ عليها. وقيل إن أبا الأعمور كان الرسول الذي بعثه عثمان بن عفان  
إلى سعد بن أبي سرح أمير مصر ليأمره بقتل وسجن وضرب المصريين الذين ثاروا  
على الخليفة وساروا إليه في عاصمته .

وكان أبو الأعمور حليف أبي سفيان بن حرب، ولذلك اتصل بابنه معاوية  
في أثناء ولايته الشام، وناصره في حروبه مع علي بن أبي طالب، حتى وُصف بأنه  
كان "من أصحاب معاوية وخاصته. وأشد من عنده علي بن أبي طالب، فكان  
علي يدعو عليه في القنوت" .

واضطلع في معارك صيفين بين علي ومعاوية بنصيب عظيم، جعل المؤرخين  
يقولون : " عليه كان مدار الحرب بصفين " فقد وضعه معاوية على مقدمة الجند  
الخارجين من الشام لملاقاة علي، وكان يسير تحت لوائه أهل الأردن<sup>(١)</sup> .

فكان أول من قاتل أهل العراق تحت قيادة الأشتر في قناصرين، كما حمل  
العبء الأكبر في القتال الذي دار في أول يوم من أيام صيفين على الماء ، ولكنه هُزم  
في المعركتين.

وعندما استقرَّ الأمر بالجنود جميعاً في صفين جعله معاوية على المسيرة،  
وكان ينتدبه لمبارزة العراقيين.

(١) قال نصر بن مزاحم : "فخرج أهل حمص عليهم أبو الأعمور السلمي، ثم نودي : أين أهل  
الأردن؟ في رايانهم عليهم سفيان بن عمرو السلمي" (وقعة صفين ٥٤) والنص واضح في  
الاضطراب. وقال أيضاً: "وعلى مقدمة من أقبل من دمشق أبو الأعمور السلمي، وكان على  
خيل أهل الشام . ولعل المراد أهل الأردن، أو لعله تنقل بينهما".

قال نصر بن مزاحم (وقعة صفين ٢١٩): " وكان على عليه السلام يخرج الأشر من مرة في خيلة، وحجر بن عدى مرة، وشيث بن ربيع مرة ٠٠٠ وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي، ومرة أبا الأعور السلمي، ومرة حبيب بن مسلمة الفهري، ومرة ابن ذى الكلاع، ومرة عبيد الله ابن عمر بن الخطاب، ومرة شرحبيل بن السمط، ومرة حمزة بن مالك الهمداني".

وكان لواء الشام مع أبي الأعور السلمي، كما اضطلع بدور هام في مكيدة رفع المصاحف، إذ أقبل على بردون أبيض بين صفوف المتقاتلين، وقد وضع المصحف على رأسه، وهو ينادى: "يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم". وكان أحد الشهود على وثائق التحكيم.

وبعد الفراغ من معارك صفين، كان أبو الأعور أحد المستشارين الذين استشارهم معاوية في فتح مصر، فأشاروا عليه بافتتاحها. ف جاء مع جند عمرو بن العاص قائدا لأهل الأردن سنة ثمان وثلاثين هجرية. واشترك معه في موقعة المسناة التي قال عنها ابن العاص: (ولاية مصر ٥٢): "شهدت أربعة وعشرين زحفا، فلم أرى يوما كيوم المسناة، ولم أرى الأبطال إلا يومئذ".

ولست أدري أطل بقاء أبي الأعور في مصر أم قصر، ولكن يغلب على ظني أنه غادرها بعد استتباب الأمن فيها، واستخلاص ابن العاص لها. ولم يكن ذلك آخر عهد أبي الأعور بمصر، بل جاء إليها مرة أخرى، وشارك في حروبها. فقد جاء مع جند مروان بن الحكم سنة خمس وستين لاستخلاصها من أيدي الزبيريين<sup>(١)</sup>.

(١) شك ابن عساكر في مجيئه إلى مصر مع مروان.

ثم لا نعود نسمع عنه، حتى إننا لا ندرى متى كانت وفاته. وكأنه لم يكن  
يبرز إلا في الحروب والمعارك. والحق إنه كان فارسا شجاعا، حتى قال بعض ولد  
العباس بن مرداس السلمى في فرسه: (البيان والتبيين ١ : ١٥١):

جاء كلمع البرق جاش ناظرة  
يسبح أولاه ويطفو آخره  
فما عس الأرض منه حافره

وأقام بعض أقارب أبي الأعور في مصر، وتبوؤوا مراكز رفيعة. فاستخلف  
عتبة بن أبي سفيان واليها ابن أخت لأبي الأعور على إمرتها، حين غادر مصر ووفد  
على أخيه معاوية . (ولاية مصر ٥٨ ) .  
ولم يصل إلينا من شعر أبي الأعور السلمى الكثير. وصلت إلينا أبيات  
قاتل قاتها في معارك صفين.

فقد روى نصر بن مزاحم (وقعة صفين ٤١٢) أن أبا الأعور حمل ذات مرة  
على أهل العراق، وهو يقول :

أضربهم ولا أرى عليا  
كفى بهذا حَزْنَا عليا

وحمل مرة أخرى وهو يقول ( وقعة صفين ٣٠٢ ) :

أنا ابن الأعور واسمى عمرو  
أضرب قُدا لا أولي الدُبُرُ  
ليس بمثلِي يا فتى يُقتَرُ  
ولا فتى يلاقيني يُسَرُ  
أحمى ذماري وإخامي حُر  
جرى إلى الغايات فاستمر

هل قال أبو الأعور السلمي شعرا أو رجزا في مصر. لقد أنطقته معارك صفين ما ذكرنا من رجز، فهل أنطقه يوم المسناة الذي وصفه عمرو بن العاص بما وصف، أو معارك مروان العنيفة مع الزبيريين من أهل مصر رجزا أو شعرا ضاع، ولم يصل إلينا، شأن بقية الشعر المصرى العربى؟. ليس ذلك ببعيد .

### المراجع

- ١ - ابن الأثير : أسد الغابة: ٤ : ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٥ : ١٣٨ .
- ٢ - ابن الأثير : الكامل (طبع أوروبا - انظر الفهارس) .
- ٣ - الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٥١ (طبع عيسى الحلبي) .
- ٤ - ابن حجر : الإصابة : ٤ : ٣٠٢ .
- ٥ - ابن سعد : الطبقات الكبير ج ٣ ، ق ٢ ، ص ٧٠ (طبع أوروبا) .
- ٦ - السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .
- ٧ - الطبرى : تاريخ (طبع أوروبا - انظر الفهارس) .
- ٨ - ابن عبد البر : الاستيعاب : ٤٥٦ ، ٦٤٢ .
- ٩ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ١٠٨ ، ٦٠٩ (تحقيق تورى) .
- ١٠ - ابن عساكر : تاريخ دمشق : ٢٥ : ٧٦٦ ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٢ تاريخ .
- ١١ - الكندى : ولاية مصر : ٥٢ ، ٦٥ - ٦٧ (تحقيق حسين نصار) .
- ١٢ - المسعودى : مروج الذهب : ٤ : ٣٥١ ، ٤٣١ (طبع أوروبا) .
- ١٣ - نصر بن مزاحم : وقعة صفين (طبع عيسى الحلبي - انظر الفهارس) .

\*\*\*\*

